مقدمة الطبعة الثانية

فى عام خمسة وأربعين وتسعمائة وألف ، أومنذ ثلاثة وثلاثين عاما ، ظهرت الطبعة الأولى من كتابى : شعر الطبيعة فى الأدب العربى القديم . . ومنذئذ سار موضوع شعر الطبيعة فى كتابات النقاد والباحثين العرب ، بعد أن كان فنا غير معروف فى هذه الكتابات .

بل إننى حين بدأت هذا البحث فى عام اثنين وأربعين ، وطالعت به الأستاذ العميد المغفور له الدكتور طه حسين – أجابنى بأسلوبه الساخر : وهل فى الأدب العربى شعر للطبيعة ؟! وأجبت فى حماس الشباب ، شارحا وجهة نظرى بنفس الأسلوب الذى تعلمناه من الأستاذ العميد فى شرح الآراء والدفاع عن قناعاتنا فيها . . وكان مما قلته أن شعر الصعاليك أو العدائين ، الذين عاشوا فى البادية وعايشوا حيوانها واندمجوا فيه وعبروا عن عيشتهم ومعايشتهم – هذا الشعر هو فى طليعة شعر الطبيعة العربى . كما أن الوقوف بالأطلال ، كما فهمته بمعناه الشامل لبيئة الحبيبة الراحلة ، وكذلك رحلة الشاعر المبكرة للصيد ووصف مظاهر الطبيعة – هما من فنون شعر الطبيعة العربى المبكرة ، فضلا عما تلا ذلك من فنون أعظم قوة وأبين تعبيراً .

حينئذ أجابنى طه حسين : سر على بركة الله وإنى لعلى ثقة بعد ما سمعته من توفيقك . ولعل الأستاذ العميد كان يستثيرنى ليحيط بما لدى فى هذا البحث ، وليعرف مدى جديتى فى الإقبال على ما أعتزم ، وخاصة أنى كنت حينئذ مشدوداً إلى السياسة فى أعلى مستويات الممارسة المصرية لها .

وظهر البحث وباركه أعلام الفكر العربى حينذاك ، وقدم له فى استفاضة الدكتور محمد حسين هيكل صاحب «زينب» و «ثورة الأدب» و «حياة محمد» .

وطبعت منه عشرة آلاف نسخة نفدت فى أعوام قليلة . . وكان ذلك عدداً فريداً لم تعرفه سوى بعض الآثار القليلة لمشاهير الكتاب فى تلك الأيام .

وحضرت ، مع المغفور له الدكتور هيكل ، افتتاح دورة المجمع اللغوى بعد عامين من صدور الكتاب .

واستمعنا مع الحاضرين إلى محاضرة الأستاذ العميد عن «شعراء بأعين التاريخ» ، يتحدث فيها مذكراً بما كتبته عن الرجاز : رؤبة والعجاج والزفيان وأضرابهم فى شعر الطبيعة .

وبعد انتهاء المحاضرة قال لى المرحوم الدكتور هيكل لقد قرأ طه كتابك حق القراءة ، وأضفى على الموضوع روعة وبهاء .

وكان من المفاجآت السارة لى أن نلت على هذا الكتاب إثر ذلك جائزة المجمع اللغوى للإنتاج الأدبى ..

وكتبت من بعد رسائل للماجستير والدكتوراه فى الجامعات العربية عن شعر الطبيعة ، الذى كان مجهولا من قبل ، وأصبح كتابى مرجعا لهذه الدراسات بصفة خاصة ولدراسات الأدب العربى القديم بصفة عامة .

وغمرتنى السياسة فى محيطها اللجب ، وباعدت بينى وبين الإنتاج الأدبى ، فلم أتابع كتابته وتحديثه .

ومنذ ستة أعوام ألحت علىّ دار الهلال لكى أعود إلى الأدب بمقال شهرى فى «الهلال» ثابرت عليه عدة سنوات ، وتناولت فى الأحيان الحديث عن شعر الطبيعة العربى ... ثم حالت الظروف منذ أشهر دون أن أستمر فى الكتابة ؛ إذ عادت أحداث السياسة إلى المباعدة بينى وبين هذا الميدان الحبيب الذى فيه نشأت ، وفى المتاع به نعمت طوال حياتى .

وحين شجعنى الصديق الأستاذ إبراهيم زكى خورشيد على إعادة طبع هذا الكتاب ، سعدت بالإجابة إلى تشجيعه ، وخاصة أن الباحثين والأدباء طالما طلبوا إعادة طبعه ، كما نفدت جميع نسخه ، عدا النسخة التى قدمتها لدار المعارف بعد أن احتفظت بها سنين طويلة .

وإنه ليسرنى اليوم أن أقدم هذه الطبعة الجديدة من هذا الكتاب ، راجيا أن يكون فيها غناء ، وأن تتبعها كتب أخرى فى شعر الطبيعة تكمل سيرته من العصر العباسى الثانى إلى هذا العصر .

وما ذلك على الله بعزيز .

د. سيد نوفل